مجلة العلوم وآفاق المعارف

Journal of Science and Knowledge Horizons

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

النخب الجزائرية وقضايا الهوية الوطنية مطلع القرن العشرين

Algerian elites and issues of national identity at the beginning 20th century

د. قشاشني علي*

ali kechachni

[1]جامعة جيلالي اليابس (سيدي بلعباس)

تاريخ إرسال المقال:2022/05/01	تاريخ القبول:2022/05/21	تاريخ النشر: 2022/06/01

*د.قشاشني علي

الملخص:

شهدت الجزائر منذ مطلع القرن العشرين العديد من التطورات على الصعيدين النهضوي والتحرري، نتيجة المؤثرات الخارجية والتجاذبات الداخلية مع سلطات الاحتلال الفرنسي أواخر القرن التاسع عشر، حيث ظهرت إلى الساحة كوكبة من النخب المثقفة ساهمت بشكل كبير في دفع عجلة المطالبة بالحقوق السياسية والوطنية، وكانت قضايا الهوية والثوابت المجتمعية الحلقة الرئيسية في ذلك حيث عمل البعض جاهدا للدفاع عنها أمام مختلف القوانين والتشريعات وحتى العداء الواضح لها من قبل السلطات الاحتلال الفرنسي، في حين أن البعض تعامل مع ذلك بشيء من التحفظ ومحاولة إيجاد تبريرات ومسوغات تتلاءم مع الواقع السياسي والنضالي في الجزائر، ومن خلال هذا المقال سنحاول استعراض مختلف هذه المواقف مع التركيز على تلك الأطروحات والمسارات عند كل تيار ومدى خدمتها لقضايا الهوية الوطنية خاصة أمام ذلك التوجه المعادي لثوابت ومقومات الشعب الجزائري في السياسة الاستعمارية الفرنسية.

الكلمات المفتاحية: النخب الجزائرية ;الهوية الوطنية ;الاحتلال الفرنسي ;المجتمع الجزائري.

Abstract :

Since the beginning of the 20th century, Algeria has witnessed many developments at the renaissance and liberation levels, as a result of external influences and internal interactions with the French occupation authorities in the late 19th century. Societal constants are the main link in this, as some have worked hard to defend them in front of various laws and legislations, and even the clear hostility to them on the part of the French occupation Authorities. While some dealt with that with some reservation and trying to find justifications and justifications that fit with the political and struggle reality in Algeria, and through this article we will try to review the various of these positions, with a focus on those theses and the paths of each current and the extent to which they serve the issues of national identity, especially in the face of that hostile trend. The constants and components of the Algerian people in the French colonial policy

Keywords: Algerian elites, national identity, French occupation, Algerian society.

مقدّمة:

تشكل قضية النخب مطلع القرن العشرين مسألة مهمة من مسائل الحياة السياسية والفكرية في الجزائر كونها تحتل موقعا مهما في القضايا المرتبطة بالمجتمع الجزائري من جهة وبسلطات الاحتلال الفرنسي من جهة أخرى، ولئن كانت البدايات التاريخية لظهور الفكر النخبوي بالجزائر تتسم بالغموض وضعف الحركية نظرا للظرفية التاريخية التي شهدتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر، فإنها اكتست وجها مغايرا نهاية هذا القرن ومطلع القرن العشرين نظير التطورات التي فرضتها تجاذبات المرحلة مع سلطات الاحتلال فضلا عن تعزز الساحة الثقافية والفكرية نتيجة الاحتكاك بالأفكار التحررية في كل من بلاد المشرق وأوروبا، وهو الأمر الذي ساهم في بلورة الفكر النخبوي وظهور فئة مثقفة حملت على عاتقهما قيادة المشهد السياسي والفكري والخوض في مختلف القضايا المجتمعة سيما تلك المتعلقة بهوية الشعب الجزائري وثوابته الوطنية.

ومن خلال هذا المقال العلمي سنحاول تسليط الضوء أكثر على الدور الفعلي للنخب الوطنية في الساحة السياسية والفكرية ومواقفها المختلفة من قضايا الهوية الوطنية مطلع القرن العشرين، سواء تعلق الأمر بالنخب المعربة التي نشأت وتكونت هنا بالجزائر وغيرها من الأقطار العربية، أو تلك التي تلقت تكوينا غربيا وعادت إلى أرض الوطن بعد سنين طويلة من النضال خارجه، وللإحاطة أكثر بجوانب الموضوع من الواجب أن نطرح بعض التساؤلات يمكن صياغتها على النحو التالي:

كيف كان الواقع النخبوي بالجزائر أواخر القرن التاسع عشر ؟ وما الظروف التي ساهمت في تبلور الفكر النخبوي مطلع القرن العشرين؟ فيما تجلت السياسة العدائية الفرنسية للهوية الوطنية خلال هذه الفترة، وما موقف النخب الجزائر من ذلك؟ وإلى أي مدى نجحت النخبة الجزائر في دفع المخططات الاستعمارية والذود عن المقومات والثوابت الوطنية؟ هذه التساؤلات وغيرها سنحاول الإجابة عنها، عبر اعتماد جملة من المناهج التاريخية المتعارف عليها لدى الباحثين، ومن ضمنها المنهج الوصفي السردي الذي وظفناه في عرض مختلف التطورات التي شهدتها الجزائر نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بداية بظهور النهضة وبوادر الوعي التحرري ومختلف تأثيراتها على مسار الأحداث في الجزائر، سواء تلك المتعلقة بالجزائريين الذين انفتحوا على بلاد المشرق وأوروبا وأحدثوا تغييرات ملموسة بالساحة الفكرية والسياسية، أو تلك المتعلقة بالإدارة والسلطات الاستعمارية وما سطرته من مخططات ومشاريع للتصدي للفكر النهضوي التحرري، وبطبيعة الحال تخلل ذلك المنهج التحليلي الاستقرائي من خلال وقوفنا بالنقد والتفسير لبعض النقاط في ذلك، مثل الأبعاد التي أخذتها قضايا الهوية الوطنية لدى النخب الوطنية ومواقفها من السياسية العدائية لسلطات الاحتلال، وإلى جانب ذلك وظفنا المنهج المقارن من خلال النظر في مختلف مظان الموضوع ومحاولة المقارنة بين مضامينها وعلى الخصوص بين المصادر والمراجع التي أرخت لكل تيار على حدة، هذا بالإضافة إلى توظيف أسلوب المقارنة في بعض المحطات، كما هو الحال بالنسبة لقضية التجنيس والإدماج التي طرحت خلافا كبيرا بين النخب الجزائرية، أين عارضها تيار المحافظين، ورحب به الليبراليون، ونفس الشيء بالنسبة للتعليم وغيرها من القضايا التي سنعالجها تبعا في هذا المقال.

المبحث الأول: النهضة وبوادر الوعي الوطني:

لم يكن القرن العشرين ليطل على الجزائر ببضع سنين حتى بدأت الأذهان تتفتح إلى ما يدور حولها من أحداث وتطورات، وراح الجزائريون يبحثون عن غذاء جديد في الفكر العربي الإسلامي الحديث، الوافد عليهم من بعض الأقطار العربية، والذي يدعو إلى يقظة المسلمين ووحدتهم وتطهير الإسلام من كل ما علق به، كما ساهم في هذه اليقظة الفكر الأوروبي الوافد على الجزائر من الضفة الشمالية عن طريق المتمدرسين في الخارج الذين عادو متشبعين بروح العمل الجاد من أجل إنقاذ بلادهم من السقوط الفكري والثقافي الذي بثته سياسة الاحتلال الفرنسي، والواقع أن هذه اليقظة قد بدأت في الجزائر منذ أواخر القرن التاسع عشر وازدهرت مع بداية القرن العشرين إلى غاية الأربعينات، وشهدت الكثير من التجاذبات التي أثرت في الواقع الجزائري وأحدثت الكثير من التطورات على مختلف الأصعدة وفي مقدمتها الحياة السياسة والفكرية.

المطلب الأول: تبلور الفكر النخبوي مطلع القرن العشرين:

منذ سنة 1870 ساد الجزائر صمت مطبق، قبل أن تتعالى بعض الأصوات بشكل منفرد في أول الأمر، ثم أخذت تزداد وضوحا في مطلع القرن العشرين منذرة بظهور نخبة جديدة، وكان هذا الظهور المفاجئ للنخبة المسلمة المتحضرة والمتفرنسة نوعا ما، قد ساهم في زحزحة ما كان يعرف بالرأي العام الإسلامي لدى الفئة الأوروبية على الأقل، ولم تكن تلك النخبة في الحقيقة، إلا صدى للتقاليد الإسلامية الراسخة في أوساط المثقفين الجزائريين والأوساط الشعبية الدائرة في فلكهم [1]، ويؤكد أجرون أنه سرعان ما أطلق الملاحظون على هاذين الجيلين المخضرمين نعوتا وتسميات شتى، مثل الشبان الجزائريون أو أصحاب العمائم القديمة أو المحافظون، وقد تسرع الملاحظون في إبراز صراع الجيلين، كأنه صدام بين نمطين من التفكير، تقليدي وعصري، والحال أن ذلك الخلاف لم يكن واضحا بصورة جلية، فكلا التيارين الفكريين كانا يتعارضان تارة ويتقاربان تارة أخرى[2]، وكان يجمع بينهما في الغالب الدفاع على مختلف القضايا الوطنية على تنوعها وكثرتها – مع بعض التباين- وتمكنوا لحد ما أن يؤثروا في المشهد السياسي والثقافي بالجزائر خلال هذه الفترة ولعل هو الأمر الذي جعلنا نتعامل معها في هذا السياق على أنها نخبة عموما، دون تخصيص واحدة دون أخرى بهذا اللفظ، مع معالجة كل طرف حسب التيار والكتلة التي ينتمي إليها.

فلفظة " نخبة " خلال هذه الفترة حمل الكثير من المعاني والدلالات وأثر في تحديد مفهومه تلك التجاذبات من قبل سلطات الاحتلال ومؤسساتها الإعلامية، عبر تخصيصه لكتلة معينة دون أخرى وربما هو ما يتعارض مع مفهوم المصطلح من الأصل، فمن منظورنا لم يكن يوما هذا اللفظ حكرا على تلك الفئة المثقفة ثقافة فرنسية والتي تلقت تكوينا خاصا في المدارس والمعاهد الفرنسية، كان أن أدى بها في الغالب إلى الاستلاب

الثقافي والانسلاخ الهوياتي، وإنما يشمل مختلف الفاعلين الجزائريين الذين حملوا على عاتقهم الدفاع عن القضايا والثوابت الوطنية بغض النظر عن تكوينهم وتوجههم.

ولعل الأستاذ عبد القادر حلوش من خلال كتابه المعنون "بسياسة فرنسا التعليمية في الجزائر "فصل جيدا في الأمر، وذهب إلى أن مصطلح "نخبة" خلال هذه الفترة كان صناعة استعمارية بحتة، حيث احتل المقام الأول في نشرات الصحف والاجتماعات والمناقشات اليومية مثل الإدماج وما شابه ذلك ومن هنا فالمصطلح الجديد كونه يختلف عن المصلح القديم، الذي يمثل النخبة التقليدية أو المحافظة ذات التكوين العربي الإسلامي كان وليد المدرسة الفرنسية التي أراد الاستعمار أن تكون دعامته الأساسية في فرض سيطرته الكاملة على الجزائر[3]، وهي بذلك تلك الفئة القليلة من الجزائريين التي تأثرت بالثقافة الفرنسية، واختلطت بالفرنسيين عن طريق الزواج والوظائف والتملك والمصير المشترك، وهي الجماعة الجزائرية المتسيسة التي طالبت بالاندماج في فرنسا ولو بالتخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية [4].

وعليه من الواجب مقاربة الصنف الثاني من المثقفين الجزائريين وهي الطبقة المشبعة بالثقافة العربية الإسلامية أو تلك مزدوجة اللغة والثقافة والوعي بالهوية الوطنية، وهي صنف من المتعلمين الذين استفادوا من فرص التعليم الفرنسي وإن بدرجات متفاوتة، لكنهم ظلوا متشبثين بمظاهر الشخصية الوطنية وحريصين على عدم الانفصال عن قاعدتهم الاجتماعية، ويشمل هذا التمسك بالشخصية العربية الإسلامية، مظاهر مختلفة اجتماعيا وفكريا وسياسيا أحيانا أخرى، تمثلت الأولى في الحفاظ على طابعهم العربي الإسلامي في لباسهم وسلوكهم داخل المدرسة وخارجها، بينما تمثل تمسكهم الفكري والسياسي في تأييد الحركات الإصلاحية الدينية أي تأييد حزب سياسي وطني قد يظهر في المستقبل[5]، وهكذا يظهر أن مفهوم مصطلح النخبة أكبر من أن يحصر في فئة معينة دون سواها، وهو بعيد كل البعد عن تلك المفاهيم الإقصائية التي روجت لها سلطات الاحتلال وكادت أن تفرض نفسها في الساحة الفكرية والسياسية بالجزائر، هذا فضلا على أن هذا المفهوم هو لصيق من الأصل بالمجتمعات على اختلافها وتنوعها، فلكل مجتمع نخبه تبرز في الساحة من رحم البيئة التي نشأت فيها، تفكر وتجتهد وفق أصولها وعاداتها وثوابتها، مع بعض الاستثناءات التي تفرضها ظروف التغرب والهجرة والاحتكاك بالآخر.

الفرع الأول: كتلة المحافظين وقضايا الهوية الوطنية.

يشير الأستاذ سعد الله إلى أن لفظة "محافظ" غالبا ما تضلل، لأنها تغير معناها من مكان لآخر ومن وقت لآخر، وبخصوص الجزائر فإن كلمة " المحافظية " تعني بقاء الحالة الراهنة لمعارضة الأفكار الغربية، وكل الخطط التي قد تدخل تغييرات متطرفة إلى المجتمع الجزائري، أما على المستوى الثقافي فإن المحافظية الجزائرية كانت تعني الإبقاء على النظم الإسلامية، والتعليم العربي، والقيم القديمة [6]، وقد مثل هذا التيار أولئك المثقفين والعلماء والمحاربين القدماء ورجال الدين وبعض المرابطين وغيرهم من المعلمين والنيابيين والمصلحين ممن كان يؤمن بالجامعة الإسلامية وينادي بالتقدم والتعليم [7]، وكان برنامج هذه الفئة يشتمل على مجموعة مطالب من بينها، المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والمستوطنين ومعارضة التجنيس والتجنيد الإجباري بالإضافة إلى نشر

وإصلاح التعليم، والاهتمام باللغة العربية وحرية الهجرة [8]، والملاحظ أن هذه الكتلة أرادت بمواقفهما هذه الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح والانفتاح على العالم دون الذوبان فيه، وهو ما يمكن أن تصلح على تسميته الجمع بين الأصالة والمعاصرة، أي الاستفادة من المعطيات الحضارية الغربية والاقتباس من العلوم التقنية وما إلى ذلك [9].

وعموما قد غلب على هذه الكتلة طابع الثقافة المزدوجة وبروح دينية تدعو للمحافظة على الشخصية الإسلامية في إطار التمتع بالحقوق الفرنسية، وقد انطلقت هذه النخبة على يد جيل القرن التاسع عشر وتوسعت أكثر فيما بعد، وقد تأثر رجالها بأفكار محمد عبده والجامعة الإسلامية كما جاء سابقا[10]، وأصبحوا يدعون إلى الرجوع بالإسلام إلى حالته الأولى والاقتداء بالسلف الصالح، مع الدعوة للإصلاح وتعليم اللغة العربية باعتبارها ركيزة الهوية، وظهر ذلك جليا من خلال دعواتهم في النهوض بالتعليم الديني والدنيوي وقد عبروا عن ذلك في الكثير من المناسبات، ويبدو أنهم استشعروا بحق ذلك الوضع المتدهور الذي أصبح عليه الإسلام بالجزائر خاصة بعد العزلة التي فرضت عليها من جهة وجراء السياسة الاستعمارية التي حاولت تمييع الدين من جهة أخرى.

فقد كان الإسلام في حاجة إلى دفع تاريخي للانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، للخروج من السبات السديمي والتكيف مع العالم الجديد عن طريق الاهتمام النشط خاصة وأن المسلمون الجزائريون كانوا يفتقرون إلى معلومات دقيقة عن مسيرة الإسلام عبر العالم، وربما كان محمد عبده الرجل الذي جعلهم يشعرون بإيقاع الشرق الإسلامي وساعدهم على استيعاب التوجه الإصلاحي للإسلام المعاصر بشكل سريع [11] وقد لاحظنا سابقا كيف تأثر الكثير منهم بهذا الأخير، وراحوا يؤسسون لمرحلة جديدة في تاريخ النضال والإصلاح المجتمعي، غير أن الحالة التي كانت عليها هذه الكتلة، كعدم الانتماء لمنظمة منضبطة ومحددة، جعل برنامجهم غير محدد بوضوح، كما كان غير مفهوم بالضبط من كل أعضاء الكتلة، فمعظم هؤلاء الأعضاء كانوا على اتفاق بأن الجزائر لا تستطيع أن تهزم فرنسا وحدها، لذلك فإن الإبقاء على الشخصية الجزائرية، ومقاومة كل خطط فرنسا والتضامن بين جميع المسلمين كانت في نظرهم هي ضمانات الانتصار [12].

وبناء على ذلك راحوا يهتمون أكثر بالقضايا المتعلقة بالعروبة والإسلام، وبذلوا جهودا معتبرة في ذلك، ومن ضمنهم الشيخ عبد القادر المجاوي الذي كان يتمتع بشعبية واحترام كبيرين بين الجزائريين في وقته، فقد كان أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية في المدرسة الجزائرية – الفرنسية بالعاصمة وقسنطينة وفي سنة 1914 اعترف أحد الكتاب بأن الشيخ كان في خدمة التعليم منذ أربعين سنة، وقد ساهم المجاوي بفاعلية في النهضة الجزائرية بكتبه ومحاضراته ونشاطه في الصحافة [13] واهتم كثيرا بقضية التعليم حيث عمل على تحريك المجتمع نحوه، وفي ذلك ألف كتاب "المرصاد في مسائل الاقتصاد" وكتاب "إرشاد المتعلمين [14]، وشرح منظومة في إنكار الفساد الاجتماعي، وقدم لشرحه بمقدمة ذات أهمية في بيان ضرر البدع، وضرورة النهضة العلمية وقرر أن السبب الرئيسي في النهضة إنما هو العلم، وتشتمل المقدمة على مبحث في الحكمة والعلم ومبحث في التربية، كما تحدث عن تعليم المرأة وضرورته لأنه أساس التربية ووضع في ذلك فصلا في دراسة الأخلاق وعلم النفس [15].

كما انتقد طرق التعليم في عصره حيث قال: "التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه، إذ تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الأقطار لا يفيد التعليم و لا أباه، فلابد من المعرفة بالعلوم النافعة في الدين و الدنيا ،أما إذا اقتصرنا على أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول ، ولاحول ولا قوة إلا بالله، نعم إنه يوجد بعض العلماء ولكن صاروا لقلتهم كالعدم"[16]، كما يذكر في إرشاد المتعلمين أهم العناصر المعارفية التي ينبغي على كل إنسان أن يستوعبها ليتمكن من اكتساب نمط تفكيري يتماشى مع متطلبات العصر الحديث فالتفكير السليم في نظر الشيخ المجاوي هو ذلك التفكير الذي يمكن الوصول إلى علم شامل صحيح عن طريق النقد البناء للنمط التفكيري والمعارفي الساري المفعول والمعتاد عليه، فهو يقترح قطيعة إبستمولوجية مع المناهج التعليمية التقليدية دون أن ينفي الحاجة إلى الحفاظ على الرصيد المعارفي الذي اكتنزه الإنسان عبر العصور [17] هذا وقد اهتم أيضا بالدفاع عن تعليم المسلمين والنهوض بمستواهم ودفعهم إلى الرقي والتقدم وكان المجاوي يعلم بملاحقة الاستعمار له ومراقبته خوفا من ازدياد نشاطه والتفاف الناس حوله ولتقييد حريته عرضت عليه وظيفة والتي قبلها في مختلف المساجد والمدارس [18].

ونجد الشيخ صالح بن المهنا الذي لعب دورا بارزا في النشاط الإصلاحي المبكر عبر مناجاته الطويلة للضمير الوطني، التي كادت أن توقظ أهل قسنطينة كافة سنة 1898 لولا تدخل الحكومة الفرنسية وقيامها بإبعاده ومصادرة مكتبته التي لا تقدر بثمن آنذاك [19] وقد عرف الشيخ صالح قيمة العلم في أيقاظ المجتمع من غفوته وسباته، فوطن نفسه على خدمة الحركة التعليمية بكل ما أوتي من قوة، فبعد أن عين إماما بالمسجد الكبير بقسنطينة شرع في إلقاء الدروس بوتيرة دائمة بالزاوية الحنصالية خدمة لتلاميذه في جميع المواد الدراسية، وكان شديد الحرص على الوقت وكثيرا ما نجده إما للتدريس أو منكبا على مطالعة الكتب والنظر فيها، وقد أوذي من طرف أناس في قسنطينة بسبب حملته العنيفة على ما ألفوه من العوائد الفاسدة والبدع ومخالفة الدين وما اعتادوا عليه من عليه من التعصب القبلي والجاهلية والاعتزاز بالعرق أو الحسب والنسب، وما في معنى هذا مما هو مناف للشريعة الإسلامية، إلى جانب إعراضهم عن العلم ونبذهم له [20].

وإلى جانب الشيخين المجاوي وابن مهنا نجد الشيخ المولود بن الموهوب[21] الذي بذل جهودا لا بأس بها من أجل النهوض بالتعليم المسجدي عبر تقديمه الدروس في الدين والعلم والتي كان يلقيها بانتظام على مسامع المسلمين بالجامع الكبير بقسنطينة، وكان الهدف من ذلك على حد تعبير الشيخ محمد علي دبوز هو إحياء تعاليم الدين الإسلامي السمحة بتنقيته من الشوائب والبدع والخرافات والعمل على إصلاح المجتمع ولم شمله، هذا وكان يهاجم في دروسه التعصب المذهبي والجنسي والجهوي ويدعو إلى الأخوة الإسلامية ثائرا على البدع والخرافات التي أفسدت الدين وقتلت المسلمين، منددا بالأمراض النفسية كالحسد والحقد والبخل في المساهمة في المشاريع الخيرية، شديدا على الملحدين الذين يقبلهم الاستعمار في مدارسه متخذا منهم جنودا لمحاربة الإسلام والمسلمين[22].

والواقع أن الشيخ ابن الموهوب كان مدركا لخطورة الوضع الديني الذي وصل إليه الجزائريون، خاصة تلك الاعتقادات الباطلة التي تفشت في المجتمع، لذا عمل جاهدا على محاربة تلك البدع والخرافات والسلوكيات

السلبية الدخيلة على الدين، ونوه في كثير من الأحيان على ضرورة العلم باعتباره المخرج والمنقذ من هذه الأزمة الروحية مستشهدا بأمثلة من التاريخ الإسلامي وحتى الأوروبي كما حدث مع أوروبا التي خرجت من عصر الظلمات إلى عصر النهضة والأنوار، رافضا بذلك الإتكالية التي سادت المجتمع [23]، وإن كان ابن الموهوب صريحا في الميدان الديني بمقاومته للبدع والأمراض الاجتماعية، فإنه كان محافظا في الميدان السياسي، حيث لم يفصح عن موقفه من قضايا عصره خاصة تلك المتعلقة بالسياسة الاستعمارية، وربما يعود ذلك إلى كونه من موظفي السلك الرسمي وهو الأمر الذي حال بينه وبين الخوض في هذه القضايا[24].

وربما هنا نستشهد بتعليق الأستاذ سعد الله الذي أشرنا له سابقا، في كون هؤلاء الموظفين لا حول ولا قوة لهم في التعامل مع الإدارة الفرنسية بالقبول أو الرفض، لكن لم نسمع عن أحد منهم أن استقال من منصبه؟ والملاحظ أن مواقف الشخصيات المحافظة من قضية الدين واللغة وغيرها، كانت نابعة أساسا من تكوينهم العربي الإسلامي، فضلا عن تأثرهم بأفكار الجامعة الإسلامية التي تبنوها وجعلوها السبيل للنهوض بالمجتمع ومحاربة أساليب الهيمنة الاستعمارية، ونتيجة لهذا التفاعل بين الطرفين والاطلاع على الكثير من الصحف المشرقية ظهرت العديد من الأبحاث والكتب والرسائل التي عالجت موضوع الإسلام وقابليته للتقدم والنهضة ومسايرة العصر وموضوع الإصلاح الاجتماعي والديني كالدعوة إلى تجديد دور الزوايا ومناهج التعليم الإسلامية وتدريس اللغات ونبذ الخرافات والبدع ونحو ذلك[25].

وهكذا بدأت الكتلة في تطور مستمر وأخذت تدافع أكثر عن قضايا الهوية الوطنية والتعليم، خاصة بعد التحاق العديد من المثقفين بها، ومن ضمنهم الشيخ محمد بن رحال [26] الذي كانت له اهتمامات كبيرة بالإسلام واللغة العربية باعتبارها أداة للحفاظ على الثقافة الدينية الوطنية، وقد حدد ابن رحال أن الإسلام يمكن أن ينسجم مع اندفاعات الحضارة الغربية في كثير من المستويات والجوانب، ما عدا الأمور المتعلقة بالعقيدة والأخلاق والأسرة، وتحدث عن ذلك في أكثر من مناسبة، وربما أهمها يوم انعقاد مؤتمر المستشرقين في باريس عام 1897 أين تحدث عن قضية التثاقف بين الغرب والمسلمين[27]، كما قدم عرضا أمام مجلس الشيوخ بشأن القضاء الإسلامي في 18جويلية 1891طالب فيه بالعودة إلى العدالة الميسرة للقضاء الإسلامي من خلال تعويضات مناسبة للقضاة تقيهم من الإغراءات وتسمح لهم بالمحافظة على مكانتهم.إلى جانب توظيف دقيق من جهة الأخلاق و المعرفة، وكانت له اهتمامات كبيرة بالتعليم الذي جعل منه قضية نضالية طرحها في مختلف المناسبات، حيث كان من أول المدافعين عن التعليم العربي واقترح جلب أساتذة من المشرق لصيانة اللسان العربي الذي اضمحل أمام انتشار اللغة الفرنسية[28].

ولا يمكن في هذا الصدد أن ننسى الحركة الصوفية الإصلاحية الثورية وهي حركة محمد بن علي السنوسي التي اعتقد صاحبها أن الدعوة الأخلاقية والتجديد الروحي هما الأساس للتحرر من السلطة الأجنبية، حيث تركت أثرا بعيد المدى في المغرب الإسلامي وهي حركة متصلة بالثورة الوهابية وبتعاليمها رغم أن مؤسسها صوفي ولكنه ليس كالصوفية الآخرين الذين وجدوا في عصره، ومن الشيوخ الذين كونوا هذه المدرسة الرائدة في الإصلاح نجد الأستاذ عبد الحليم بن سماية[29] الذي كان مدرسا بالمدرسة الثعالبية ومن المثقفين المصلحين الذين أفادوا

الجزائر في ميدان التربية والتعليم، وكان متصلا بالحركة السلفية الإصلاحية في العالم الإسلامي، مراقبا الأحداث في الصحف العربية والفرنسية كما كانت له اتصالات ومراسلات عديدة مع الشيخ محمد عبده[30].

كما كان الشيخ عبد الحليم من أهم المدافعين عن التعليم، حيث أدرك أن نهضة المجتمع وخروجه من دائرة التخلف لا يمكن أن تتحقق وتعرف النور إلا إذا قام بحملة صادقة تستهدف محاربة الأمية وتشجيع العلم و العناية به، وتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة عن الأولياء الذين كانوا لا يعطون أهمية لتعليم أبنائهم وفي ذلك يقول: "وإنه لو اتفق الناس على جلب أزهار العلم لوجدوا إليها سبيلا فيأمرون أولادهم بمخاطبة أهل العلم أو يأمرون أولادهم أن يطلبوا من مدرسيهم أن يعلموهم، ويأمرونهم باجتماع عليهم في أوقات الدروس وفي المساجد أو يأمرونهم بتعليمهم ولو مسألتين أو ثلاث كل يوم بالسؤال ممن يعلمهم ،ويوبخونهم على إضاعة الوقت ،فلو فعلوا ذلك لحملوهم بالتعود على السؤال ذوق العلم، فيتأكد فيهم داعي الطلب من أنفسهم"[31]، كما عرف بمواقفه المناهضة للبدع والخرافات والإلحاد، وكذلك مواقفه الجريئة ضد السياسة الاستعمارية الرامية إلى نشر التحضر الغربي وإفساد أخلاق المجتمع، وكان شجاعا في ذلك لا يخشى الإدارة الفرنسية كما كانت له مواقف كثيرة تجلت فيها غيرته على العالم الإسلامي، التي اقتبسها من نهمه الكبير في الاطلاع على مختلف الجرائد الكبرى سواء كانت بالفرنسية أو العربية خاصة تلك القادمة من المشرق العربي، كما كان يأمل في النهوض بالمجتمع الجزائري وتحريره من الجهل ومختلف الأمراض المجتمعية التي غرستها سلطات الاحتلال الفرنسي [32].

ومن المحافظين الذين عاصروا الشيخ بن سماية نجد الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة، الذي كان من أكثر الأساتذة حرصا على مطالعة كل ما يرد من المشرق من كتب وجرائد ومجلات، وخاصة كتب محمد عبده ورسائله، اهتم بالحياة الاجتماعية والأخلاقية وبوضع المرأة المسلمة الجزائرية، فكتب كتاب " الاكتراث في حقوق الإناث" وكتاب " اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب" وكتاب " إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام "كما حقق ونشر تفسير الشيخ عبد الرحمن الثعالبي المسمى بجواهر الحسان، وله العديد من الرسائل الأخرى في مختلف الموضوعات الاجتماعية والصحية، وساهم بذلك بقلمه كثيرا في النزعة الإصلاحية وأضحى من روادها الأوائل[33].

وهكذا يتضح أن كتلة المحافظين رغم عدم خضوعها لتنظيم واضح ورسمي، إلا أنها حملت وجها واحدا اشترك فيه الكثير من مثقفي تلك الفترة، وساهم كل منهم بوسائله وطرقه الخاصة في الدفاع عن مقومات الشعب الجزائري وثوابته، سواء تعلق الأمر بأولئك المتأخرين مثل عمر راسم وابن أبي شنب وعمر بن قدور وغيرهم، أو الذين سبق ذكرهم وكان فيهم من شجع التعليم بالفرنسية وحمل رسالة فرنسا الحضارية إلى الجزائر، وهنا من المهم أن نشير إلى أنه من الغلط أن نسمي هؤلاء متطرفين كما نوه الأستاذ سعد الله، ذلك أنهم عارضوا التجنيس والإدماج عموما[34] بما في ذلك الشيخ المولود بن الموهوب رغم أنه لم يبد رأيه فيما تعلق بمسألة التجنيس بسبب عمله في الإدارة الفرنسية، لكن يتضح من خلال تكوينه وتفكيره أنه من المعارضين للتجنيس وهذا الرأي مشترك بين كل المنتمين إلى كتلة المحافظين، إذ يتفق الجميع على الإبقاء على الشخصية الجزائرية والذود

عنها[35] ونفس الشيء بالنسبة للشيخ عبد القادر المجاوي الذي كان تأثره الأول تأثرا إسلاميا عربيا لا فرنسيا، حيث كان يدعو للتعلم والنهوض بالمجتمع الجزائري على الطريقة العربية الإسلامية وليس على الطريقة الفرنسية، كما دعا إلى تقدم اللغات وليس اللغة الفرنسية وحدها ودعا إلى تقليد الغربيين في العلوم الجديدة وليس في كل شيء، ولم يكن المجاوي منبهرا ولا مسلوب الفكر بل كان معتزا بماضيه وحضارته، فدعا الجزائريين إلى أن يعرفوا مكانتهم بين الشعوب، وهكذا لم يسلم كغيره من شيوخ الكتلة من هجوم الصحافة الاستعمارية على أفكاره وتوجهه، لأنها ليست نابعة من المحيط الفرنسي وبعيدة كل البعد عن دعاوي الإدماج والتجنيس.

كما كان ابن رحال هو الآخر رافضا لكل مظاهر التجنيس والإدماج، وعبر عن ذلك بكل وضوح من خلال موقفه من قانون الأهالي الذي انتقده بشدة كونه يمثل جانبا فظيعا من الاضطهاد الفرنسي، الذي فوض وكلاء الحكومة بمعاقبة الأهالي الجزائريين مطالبا بإبطال القانون وتخفيف وطأته بإضافة بنود تمنع المظاليم، وتجاوز الحدود التي هي نتيجة إطلاق الحكم، مبينا أن هذه الحالة الحرجة أصبحت كالسيف المعلق بشعرة فوق رؤوس الأهالي وأصبحت موجبا للنفور والشقاق وابتعاد ابن البلد من الفرنسي، وفي هذا تحذير للسلطة الاستعمارية الفرنسية من استمرارها في تطبيق القوانين الجائرة التي تقضي على كل أمل في حدوث تقارب بين الجزائريين والفرنسيين[36]، ونفس الشيء سار عليه عمر راسم[37] الذي حارب مظاهر الانحلال الخلقي والتفرنس، وتصدى للطائفة المتفرنجة التي أدارت ظهرها للقيم الإسلامية وارتمت في أحضان المدنية الغربية، واعتبر هذه الطائفة بلاء على الأمة، حيث كتب في إحدى مقالاته: ما من بلاء نزل من السماء إلا من أولئك الذين شقوا عصا الطاعة في وجه الأمة المحمدية وما من شقاء طلع من الأرض الرمضاء إلا من أولئك الحشرات الذين ملأت بهم فانسابوا بين أهل الإيمان وعادوا بلادهم وخربوا ديارهم وخانوا ملتهم باسم المدنية والإصلاح، إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون" [38].

أما ابن شنب فهو الآخر كان متحفظا على مظاهر الإدماج والتفرنس، وكثيرا ما اعتز بشخصيته العربية الإسلامية رغم مخالطته المستمرة للمستشرقين والإدارة الفرنسية، ولعل ما يعزز ذلك تلك الشهادات التي أدلى بها بعض الفرنسيين يوم تأبينه ومن ضمنهم مارتينو الذي قال :"إن ابن شنب كان صورة للأديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوروبية في العمل بدون أن يفقد شيئا من صفاته وعاداته"، أما هنري ماسيه فقال: "إن ابن شنب كان مثال التآلف الفرنسي-الإسلامي في الجزائر"، وقد نوه الكثير من معاصريه ونظروا إليه نظرة المعجب المفتخر، لأنه تمكن من العلم وحافظ على هندامه الوطني ووصل إلى أعلى درجات الوظيفة الأكاديمية، ونشر كتب التراث مع تواضع ووقار [39].

الفرع الثاني: كتلة الليبراليين وقضايا الهوية الوطنية.

ما ميز أعضاء هذه الكتلة أنهم حملوا العديد من المسميات منها الفتيان والليبراليون والأنتلجانسيا وغيرها، وكان لهم برامجهم ونظرياتهم الخاصة في السياسة الجزائرية، وهم في العموم أولئك الذين تخرجوا من المدرسة الفرنسية وكان في صفوفهم أطباء ومحامون وقضاة وصحفيين ومترجمين، تبنى الكثير منهم تلك الأفكار الغربية كالحداثة والحرية والجمهورية والمساواة، واعتبروا جماعة المحافظين مجموعة من الرجعيين الرافضين للتقدم

ومسايرة التطور[40]، واتهموهم بعداوة الوطنية ومعارضة التقدم والإسلام الحقيقي كما أطلقوا عليهم جميع الأسماء المنقصة من حصون الإجحاف إلى البورجوازية المتعجرفة التي ليس لأعضائها أي قيمة سوى كونهم أدوات زينة في المنتزهات والأماكن العامة، وهم في نظرهم أدوات استغلال في يد الإدارة الفرنسية وأيضا كحواجز بينهم وبين الجمهور [41].

وفي ظل هذه الحالة وجدت النخبة نفسها بين المحافظين ومن ورائهم غالبية الشعب الجزائري والمعمرين الكولون الذين لم يقبلوا بهم، رغم موافقتهم على مطلب التجنيس وذلك لأنهم كانوا يفرقون بين فرنسا الديمقراطية هناك وفرنسا الاستبدادية في الجزائر، وقد تركزت أهم مطالبهم حول المساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، وإلغاء قانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية، وعلى رأسها قانون الجنسية المساواة في العملية الانتخابية وكذلك حق التمثيل النيابي للجزائريين في المجلس الوطني الفرنسي والمساواة في الضرائب وفرص العمل، وظل شرطهم التمسك بالأحوال الشخصية وعدم التخلي عنها معبرا عن هويتهم واستقلاليتهم ولو مؤقتا، وقد استفادت النخبة كذلك من الإعلام والنوادي والجمعيات الثقافية في إيصال أفكارها وتوسيع نشاطها خصوصا في أوساط المتعلمين من خريجي المدارس الفرنسية[42]، كما كانوا يراسلون البرلمان ويلتمسون من الجمهورية الوفية لمبادئها والحامية لحقوق الضعفاء، أن تمنح الحقوق الأساسية لكل إنسان، وليس كل فرنسي مثل ما جاء في عريضة سنة 1901، التي تضمنت حق انتخاب السادة النواب واختتمت بنفس اللهجة ذات التوجه الجمهوري " إن الشعب العربي بحاجة إلى رعاية والعطف من طرف الأمة الفرنسية العظمى لتحسين ظروف معيشته البائسة[43].

والواقع أن هذه الكتلة شهدت العديد من التطورات منذ الثمانينات والتسعينات حيث بدء أعضاءها في الابتعاد عن هذه الثقافة الجزائرية بصورة تدريجية، إلى أن ظهرت فئة من الاندماجيين مع مطلع القرن العشرين متنكرة لماضيها وتاريخها، لكن لم يكن جميعهم كذلك حيث كان فيهم المتحمس مثل التهامي وعمر بوضربة وأحمد بوضربة وابن حمودة وفيهم المنادون بالاندماج التدريجي مثل إسماعيل حامد والطبيب مرسلي، وفيهم الخاملون الذين كانوا يأكلون الخبز وينتمون فقط إلى هذه الفئة، وفي وقت لاحق ظهر اندماجيون غلاة أيضا أمثال الزناتي وابن الحاج، و معتدلون أمثال فرحات عباس في المرحلة الأولى وابن جلال وكان محمد صوالح وتامزالي من فئة الاندماجيين الماسونيين، لكن مع مرور السنين بدأت عوامل الفشل تدب فيها، إلا فئة قليلة منهم استمرت في فكرها وعملها [44].

ولعل النظر إلى برنامج هؤلاء بشيء من الدقة، حتما سيجعل المرء يقدر دورهم الوطني رغم أنهم كانوا ككتلة ما تزال ضعيفة وصغيرة خلال العقد الأول من القرن العشرين، حيث ثاروا ضد الوضع السائد عندئذ لأنهم واجهوا عراقيل متعددة، منها طبيعة المجتمع وسوء التفاهم وإجحاف الكولون، وسياسة الإدارة الفرنسية الاضطهادية، ولكنهم لم ينادوا في ثورتهم بالعنف والتطرف، بل نادوا بالعدل والتسامح، وبناء مجتمعا جزائريا جديدا قائما على التقدم والمساواة، وهكذا جعلهم موقفهم المعتدل يبدون ضعفاء وغير مدعمين من أي طرف، ولعل الضعف الرئيسي لهذه الكتلة يتمثل في عدم وجود منظمة فعالة وقيادة قديرة، فبرنامج النخبة بالرغم من أنه

كان معتدلا ومتناقضا في بعض الأحيان، إلا أنه كان جيدا إلى حد أنه كان يصلح أن يكون قاعدة لحركة وطنية جزائرية جديدة، لو أنهم دعموه بزعماء قادرين ومخلصين، ومنظمة تحسن استغلال المواقف المناسبة[45].

وقد تجلى نشاط هذه الكتلة في مبادرات فردية وجماعية بالمجال الاجتماعي والثقافي وخاصة الصحفي بإصدار عدة جرائد كجريدة المصباح في وهران سنة 1907 والإسلام في عنابة ثم العاصمة سنة 1910، وهي في معظمها صحافة معتدلة محررة في الغالب بالفرنسية، كما أدرك أعضاء الكتلة استحالة مواجهة السلطات الاستعمارية باستخدام الوسائل القديمة، وعليه ارتأوا الدخول في منافسة الكولون معتمدين على طرق الحوار الهادئ والعرائض والمذكرات والوفود [46].

ولا شك أن دورهم الوطني كان هاما، رغم أنه لم يكن حاسما، فصحافتهم ووفودهم وعرائضهم ضد الخرافة، والإجحاف والاستغلال وندائهم من أجل التعليم العربي، والتقدم والتسامح والمساواة، كل ذلك أدى أن خلق لدى جماعة النخبة ضميرا وطنيا جديدا وطريقة جديدة للمقاومة[47]، ومن هنا بدأت تتجلى مواقفهم حيال قضايا الهوية الوطنية، وكانت اللغة العربية من ضمن القضايا التي أولتها اهتماما من منظور افتخارها بهذا الموروث الثقافي ودعت في كثير من المناسبات إلى الاهتمام بها، كما كان الحال بالنسبة لرابح زناتي الذي رأى أن تطوير التعليم باللغة العربية شيء مرغوب فيه ولكن بشرط ألا يستعمل كداعم للتعصب، وأن يعمل هذا الأخير على تدمير إنجازات التعليم العصري واللآئكي الذي تقدمه النخبة للمدارس الفرنسية (موقف متحفظ من تعليم العربية في الجزائر)، كما قامت مجموعة أخرى بطرح قضية تعليم اللغة العربية، من ضمنهم بن شنوف وبن قديري وقايد حمود بطرح مطالب دعوا من خلالها إلى تعميم العربية ومما جاء فيها "اعتبار أن تعليم اللغة العربية هي بالنسبة للجزائريين المسلمين ذات أهمية كمثيلتها اللغة الفرنسية وأنه من الأهمية أن يسهل تدريبها وتعميمها..." [48].

في المقابل كانت هناك عناصر ساهمت في تحرير عرائض وتأطير الاحتجاجات ليس للدفاع عن العربية، بقدر ما كانت تهدف لتسهيل عملية اندماج الجزائريين والمسارعة في تطبيق النموذج الفرنسي عليهم، منهم إسماعيل حامد، الطيب مرسلي، ورابح الزناتي، ولا ينتظر من هذه الجبهة الدفاع عن مقومات العربية الإسلامية بحكم أنها حصيلة لجهود الإذابة والتحويل الفرنسي للجزائريين[49]، أما موقفهم من الإسلام، فقد كانت عناصر من النخبة الليبرالية متمسكة به ومدافعة عنه، وأعطى كل واحد مبررات موقفه ووجهة نظره، ومن ذلك موقف أبو بكر شعيب الذي دافع عن مسألة القومية وعلاقة الدين بها، مفسرا ذلك بكون المسلمين لا يقبلون الفصل بين المدني والديني، حسبما كرسته التشريعات الأوروبية المنبثقة عن القانون الروماني، وأن القانون جزء من الدين حسب رأيه وهو ما يفسر وجوب محافظة المسلمين على علاقتهم مع فرنسا، ولو بالتخلي عن الأحوال الشخصية [50].

إلى جانب ابن شعيب نجد الدكتور الطيب مرسلي، الذي يؤكد أن الإسلام ليس دين كراهية، بل يدعو في كثير من سوره إلى التسامح والتآخي، هذه الصفات —حسب مرسلي–لا توجد في الديانات الأخرى، والإسلام يدعوا أيضا إلى العدالة والإحسان إلى الناس ويضيف أن هذا الدين طبق مبدأ التسامح والعدالة على الأمم التي حكمها المسلمون، ولم يمنع المسيحيين من تقلد مناصب عليا، فقد تمكن الكثير من المسيحيين من الوصول

إلى مناصب عليا في دول إسلامية كما هو الحال في تركيا ولبنان[51]، بالإضافة إلى رابح زناتي الذي كان ينظر للإسلام على كونه كباقي الديانات، أي أنه عبارة عن شعائر روحية ودعا إلى محاولة فهمه و الوقوف عند معانيه السامية، والاجتهاد في تفسير نصوصه على أن يكون الهدف هو العصرنة، كما أكد على ضرورة الابتعاد بالدين عن السياسة "إن المسلم الحقيقي يشاطرنا القول بأن الإسلام لا يتعارض مع عصرنة الأهالي"، وتساءل" هل الدين الإسلامي عائق أمام تطور الأهالي، وهل بإمكانهم التطور وهم مسلمون؟"، كما حث على الابتعاد بالدين عن المنابر السياسية كما هو حال المذاهب المسيحية التي تهتم كل واحدة منها بتنظيم الشؤون الأخلاقية و السلوكية للدين بمعزل عن أي نشاط سياسي[52].

ورغم آرائهم اللائكية وتسامحهم وثورتهم ضد التعصب، فإن كتلة الليبراليين هذه، قد اتهمت من خصومها الفرنسيين باعتناق فكرة الجامعة الإسلامية، وبكونهم فتيانا أتراكا وبكونهم مستغلين للمشاعر الدينية لدى الجماهير الجزائرية، وفي دفاعهم، أنكروا أي علاقة تربطهم بحركة الجامعة الإسلامية، وقد أوضحوا ذلك عبر مجموعة نقاط، والحق أن هناك تفسيرا فجا، رغم أنه مهم لحركة الجامعة الإسلامية عند جماعة النخبة، ففي رسالة بعث بها السيد حاج سعيد إلى محرر جريدة " لادياش دو كستونتنين" سنة 1913، قال باسم أصدقائه من جماعة النخبة، بأن هناك مشاعر وعواطف مشتركة بين فلاحي الجزائر وفلاحي الشرق الأدنى، تماما كما كانت هناك نفس العواطف بين المسيحيين واليهود، ولكن لحاج السعيد يصر على أن هذه العواطف ليس مضمونها سياسي أو مذهبي في الجزائر[53]، وفي ذات السياق اهتم كل من المعربان doute و Marcais، على تفكيك ومعرفة طبيعة هذه العلاقة من خلال تقديم بعض الآراء والتفاسير، ربط فيها دوتي النخبة بالجامعة الإسلامية في حين مارسي فند ذلك ووصفها بالجماعة العلمانية البعيدة عن تلك الأفكار[54].

وبخصوص موقفهم من القضايا المجتمعية الأخرى كالتعليم، فقد كانت واضحة في هذا الشأن، إذ كثيرا ما طالبوا بضرورة تعليم الجزائريين دون مراعاة الجوانب المتعلقة باللغة أو البرامج، وليس غريبا أن يكون موقفهم هكذا على اعتبار أنهم خضعوا في تكوينهم لمسارات السياسة التعليمة الفرنسية كما أشرنا سابقا، هذه السياسة التي عزلت الجزائر عن ثقافتها العربية الإسلامية، وأعطتها مقادير محددة من الثقافة الفرنسية بالقدر الذي يتماشى مع مخططاتها الاستعمارية، ورأت أنه من الأفضل تشجيع نخبة مثقفة في صفوف الأهالي لكونها منبهرة بالحضارة الفرنسية وستكون الدليل الهادي للجماهير الصامدة أمام الإغراءات الفرنسية، فلقد تبين هذا الرأي للكثير من المفكرين في الوطن الأم خصوصا أولئك الذين لم يرو أي تناقض بين مصالح فرنسا ومصالح الأهالي[55].

وهكذا أصبحت قضية التعليم – وهنا نقصد التعليم الفرنسي – من أبرز القضايا التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل النخبة الليبرالية، حيث طالب أعضاءها بتعليم اللغة الفرنسية ورفض حجة أن الجزائريين غير قابلين للتعلم، وكذبوا الادعاء القائل أنهم أعداء المدرسة مبررين أن التجربة أظهرت أنه لا فرق بين الطلبة الفرنسيين والجزائريين في التعليم والذكاء، كما قدموا مجموعة من الاقتراحات تمثلت في وضع برنامج خاص للتعليم الجماهيري بالجزائر وجعلها موضع التنفيذ، إلى جانب إصلاح المدارس الجزائرية –الفرنسية التي أصبحت مثل الأديرة في العصور الوسطى، بالإضافة إلى نشر التعليم الفرنسي والثقافة الأوروبية لتطوير المجتمع الجزائري[56].

والملاحظ هنا أن جماعة النخبة تبنت موقفا مفاده أن تعليم الجزائريين تعليما فرنسيا قد يمكنهم من اكتساب اللغة والثقافة الفرنسية، وهو ما يفتح أمامهم آفاق الاندماج والتقدم فضلا عن تقبلهم من طرف الفرنسيين بكل أريحية ورحابة، ما داموا يشاركونهم لغتهم وثقافتهم وبذلك ركز جماعة النخبة على قضية التعليم الفرنسي وراحوا يلحون في المطالبة بتعميمه وإجباريته على كافة الجزائرين، كونه تعليما متطورا وحديثا قد يكفل لهم حياة كريمة وراقية ويبعث فيهم أسباب التحضر والتمدن، وهكذا يتبين أن جماعة النخبة حتى وإن كان طرحهم هذا، غايته خدمة الفرد الجزائري من منظورهم ووفق توجهاتهم، إلا أنه يعكس جليا مدى تأثرهم بالسياسة التعليمية الفرنسية، وحجم الاستلاب الثقافي والفكري العميقين الذي ألحقته بهم.

ومن الشخصيات التي أيدت مسألة التعليم الفرنسي نجد محمد الشريف بن حبليس[57] الذي كان يرى أن المدرسة وسيلة فعالة تسهم في تحقيق التقدم، وقد أبدى تفاؤلا في قوله: "إن الوحدة الأوروبية بين الأهالي والأوروبيين ستكون قريبة المنال "، وأكد على حاجة الإدارة للجزائريين المتعلمين وكتب: "في البداية تحتاج الحكومة لمجموع موظفين من الأهالي غير مؤهلين بعد لمختلف المناصب...ما يفرض عليها تعليمهم وتكوينهم أولا"، هذا ما يبرر الجهود الفرنسية في سبيل ترقية التعليم حسبه، ومدح نواياها الحسنة إزاء ذلك ليخلص في الأخير إلى نتيجة وهي ضرورة التطور المنجز خلال 84 سنة منذ أن رفرفت الراية الثلاثية الألوان–أي الفرنسية– على الأرض الجزائرية[58]، وكأن ابن حبليس يحاول أن يقنع سلطات الاحتلال بضرورة بناء المدارس نظرا للمصالح المتعددة والكثيرة التي ستحصل عليها، ومن ضمنها تكوين جهاز من الموظفين الأهالي الذين بدونهم يكون من الصعب جدا إدارة مصالح الجماهير من الأهالي التي لا يعرف عنها الأوروبيون سوى القليل، وثانيا لأن فرنسا دخلت الجزائر بدعوى نشر الحضارة فعليها أن توفي بتعهداتها بتعليم الجزائريين وبذلك تكون قد حافظت على الشرف الفرنسي، كما دعا إلى محاربة منظمة الجهل والإكثار من عدد المدارس المخصصة للتعليم الأهلي[59]، كما أكد على إلزامية تحيين المناهج وفق أساليب أكثر فاعلية حتى تتحسن نتائج العمليات التعليمية لدى الأطفال الأهالي، منتقدا تخصيص مناهج للأوروبيين على حدة وأخرى للأهالي تعلمهم تصويب النظر نحو الحياة لا صوب العلم بحد ذاته [60]، ويبدو أن طرح بن حبليس حول قضية التعليم كان أكثر واقعية واعتدالا من بعض زملائه في الكتلة، الذين نظروا للتعليم كأداة تحضر وارتماء في حضن الحضارة والمدنية الفرنسية من جهة، وأداة قطيعة مع التقاليد المجتمعية المتخلفة في نظرهم من جهة أخرى وهو الأمر الذي جعل آراءهم في الكثير من الأحيان تجنح للغلو والتطرف في منظور غيرهم من المحافظين وحتى العامة من الشعب.

وبالإضافة إلى ابن حبليس نجد أيضا المدرس السعيد الفاسي الذي دعا السلطات الفرنسية لتنفيذ سياسة تعليمية لصالح الأهالي قائلا "تعتقد أن الوقت قد حان لتعليم الأهالي لأن هؤلاء أظهروا خلال الحرب العالمية الأولى الوفاء و الإخلاص ليعاملوا كما يعامل الإسبان والإيطاليين الذين جاؤوا للاستقرار بالجزائر ويتمتعوا بالحريات..."وأضاف" من دون شك أن الأهلي الجزائري يعاني من الجهل وهذا ما جعله بعيدا عن الأوروبي ويمنعه من التعامل معه...هناك سبيل واحد لانتشال الأهلي الجزائري والنهوض به، وهذا بالتعليم ..."، كما دعا الفاسي السلطات الفرنسية إلى ضرورة منح تعليم للأهالي (الجزائريين) من أجل التخلص من الأحكام المسبقة

وتقريبه من الأوروبيين[61]، كما تحدث رابح زناتي عن مسألة التعليم الأهلي مبينا أن التطور الفكري والاقتصادي لأي شعب له علاقة مباشرة بالتطور والتقدم في التعليم، ولا يمكن أن ينتظر من شخص جاهل أي تطور، معتبرا مسألة التعليم وإشاعته في الوسط الأهلي من مسؤولية فرنسا[62] وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه محمد صوالح والذي ركز في كتابه "المجتمع الأهلي" على ضرورة تعميم مدارس البنات على كامل القطر الجزائري، وعدد صوالح النتائج الإيجابية لهذا التعليم بقوله:" عندما تتخرج البنت من المدرسة تقوم هي نفسها بممارسة تأثير داخل وسطها العائلي"[63].

والواقع أن المتتبع لمواقف الليبراليين من مسألة التعليم يلاحظ أنهم كانوا مدافعين وداعمين له، لما في ذلك من إيجابية تعود بالنفع على الأهلي الجزائري حسبهم، فهو الوسيلة الوحيدة التي تجعله فاعلا في المجتمع عبر اكتساب المعارف والانفتاح على الآخر وكذلك تقلد العديد من الوظائف التي من شأنها أن تثبت مكانته المجتمعية، غير أن سياسة فرنسا التعليمية كما جاء سابقا، كانت ترمي إلى الاستحواذ على الضمير الجزائري عن طريق غسل أدمغة أعيانه وشخصياته الكبيرة، فأسست لهم معاهد لتقوم بإعدادهم وقد أفلحت في خلق نخبة عزلتها الإدارة الاستعمارية عن محيطها العربي وربطتها بالفكر والثقافة الفرنسيين[64]، وعليه كان من الطبيعي أن يقف جماعة النخبة هذا الموقف من التعليم الفرنسي، غير أنه لابد من الإشارة أن توجههم هذا لم يكن كله متطرفا في طرحه ومن جهة أخرى كان لهذه النخب بعض مكامن الصواب في الأمور المتعلقة بإلزامية تعليم الأهالي على حد سواء مع الأوروبيين من باب تكافؤ الفرص.

وإلى جانب قضية التعليم نجد قضية التجنيس والإدماج التي كانت من بين القضايا الهامة التي ميزت هذه الفترة، وكان للنخبة الليبرالية مواقف كثيرة حيالها، اختلفت باختلاف وجهات نظر الأعضاء الذين مثلوا هذه الكتلة، ولعل أبرزهم في هذا الشأن ابن حبليس الذي كان يرى أن جماعة النخبة هي الأولى من غيرها بالتجنس، كونها تتشكل من خيرة الشباب المتخرج من الجامعات الفرنسية، وهم فوق العامة ومكانهم بين المتحضرين، مطالبا وبإلحاح من النخبة أن تكون سباقة للتجنس وأن تبتعد عن تأثير أصحاب العمائم القديمة –أي المحافظين–الذين يعيشون تحت تأثير الخرافات[65]، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عبر احتكاره هذه القضية على جماعة النخبة دون سواها، وقال قائلا أنه من الضروري أن يكون مطلب التجنيس مطلبا أساسيا للنخبة وحدها دون فئة الفلاحين والأميين والفقراء[66] ويبدو أن وراء هذا الطرح أغراض شخصية بحتة، هدفها احتكار قضية التجنيس التي يمكن القول أنها كانت امتيازا في تلك الفترة، ومن الواجب تشريف فئة معينة به.

ولتبريره هذا الموقف، أطلق بن حبليس على قضية الإدماج مصطلح التقارب وانطلق في دعمه لمشروعه هذا من منطق غريب مفاده ضرورة التعاون والتبادل، حيث أكد على "أن هذا التعاون أفضل وسيلة لتحقيق التقارب المرغوب، وهل بإمكان أحدهم أن يجرؤ على نكران هذا الإنجاز العظيم " وحلل مصير الجزائر في ظل هذا التوافق فقال: إن الاستعمار حقق الثراء للبعض، ووفر الرخاء للبعض الآخر، لكنه نجح في إعطاء الأغلبية حياة أفضل وعناية صحية أحسن، وقلب أوضاع الأهالي رأسا على عقب، وأخرجهم من خمولهم الموروث، وحبب لهم العمل و النشاط"[67]، غير أن ابن حبليس تلقى ردود قوية جراء هذا الطرح، حيث قال عنه محمد الشريف ساحلي

وغيره من المتجنسين: "رجال بدون إيمان قدموا خدمتهم إلى المحتل، عملاء مأمورون متاجرون يهدفون من وراء ذلك خدمة مصالحهم الطبقية، هذه الطبقة البرجوازية الجديدة تطالب بالمساواة في الحقوق والاندماج يريدون أن يكونوا فرنسيين للوصول إلى مكان بجانب معلميهم.."[68].

ولم يكن بن حبليس وحده من اهتم بمسألة التجنيس والإدماج، بل جل أعضاء الكتلة كانت لهم آراء وأطروحات في ذلك ومن بينهم رابح زناتي الذي كان يرى في الاندماج الملاذ الوحيد لبناء الوحدة الإسلامية – الفرنسية المأمولة، وهو في نفس الوقت مبررا للوجود الفرنسي بالجزائر في حد ذاته، وبالتالي يتوجب على الطرفين السعي باجتهاد لتحقيق ذلك، وقد كتب في صوت الأهالي "إن الجزائر يجب أن تتحول إلى فرنسية، ليس فقط بالمساهمة الفعالة للأهالي في الحياة الاقتصادية، وإنما أيضا بتغيير الذهنيات حتى تزول وتذوب الفوارق، وعندها بإمكاننا القول أنه في الجزائر يعيش فرنسيون لهم شعور وتطلع واحد"، وربما يقصد ضرورة تخلي المسلمين عن قانونهم الشخص[69].

كما ذهب إلى هذا الطرح إسماعيل حامد وهو أحد المتجنسين الذي طالب بالتجنيس والإدماج التام وعبر عن ذلك بقوله :"إن الجزائر ستصبح مقرا تذوب فيه الجنسيات المخالفة للمسيحية، تلك الجنسيات التي عاشت في الجزائر في أطوار تاريخية متعاقبة ....وعندما يتحقق ذلك سيخلق فوق الأرض الجزائرية شعبا واحدا وهذا الشعب يدعى الشعب الفرنسي"[70]، وتحدث حامد عن الطبقة الجديدة التي ستقود المجتمع إلى السعادة، إنها الفئة الهجينة التي ستتولد من الزواج المختلط، واستبعد أن يكون الاندماج الكلي ناجحا والأقرب عنده هو الاندماج المحدود عن طريق الزواج المختلط، فعن طريق هذه الطبقة ستتم سياسة التشارك والتعليم التي تبدو الشكل الأكثر ملائمة لكل تطور كولونيالي، إن الإدماج الكامل للأعراق غير ممكن ، ولن يتم الاندماج إلا جزئيا عن طريق فئة محكوم عليها أن تقود وأن تكون هي المثل لغيرها[71]، وإلى جانب حامد نجد المعلم سعيد الفاسي الذي رأى هو الآخر أن الإدماج والتجنيس هما السبيل الوحيد لخلاص الأمة من الضعف الذي ألم بها، ودعا لانصهار الأهلي المسلم بدينه وقوانينه في الحضارة الفرنسية، وكذا تطبيق التشريع الفرنسي المعمول به في فرنسا لخلق أمة جديدة ذات تكوين فرنسي[72]، ويبدو أن هذه الأطروحات بقدر ما تعبر عن حقوق تندرج ضمن المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، إلا أنها تعكس من جهة أخرى، مدى تأثر الليبراليين بالثقافة والأفكار الفرنسية والارتماء الكبير في الحضن الفرنسي ولو على حساب أحوالهم الشخصية.

ومن الليبراليين الذين ساروا في فلك التجنيس والإدماج، نجد محمد صوالح الذي أشرنا له سابقا خلال جزئية تشجيع اللهجات العامية، وكذلك أحمد بن بريهمات الذي كانت له اهتمامات بالتعليم الفرنسي، وكان معجبا بالحضارة والمدنية الفرنسية لدرجة أنه ذكر في إحدى خطبه أن هدف فرنسا من فتحها (احتلالها) للجزائر لم يكن سوى لبث الحضارة ورفع حالة التمدن النازلة بالبلاد، وكذلك الحال بالنسبة للمعلم ابن حمودة الذي عدد الإنجازات التي قامت بها فرنسا في الجزائر واعتبر التجنس واحدا من هذه الإنجازات بقوله "إن الجزائر طلع عليها الفجر بتاريخ 1865 الذي فتح للجزائريين أبواب التقدم والتجنس لكن الجزائريين لم يعترفوا بجميل فرنسا"[73]، ويبدو أن جماعة النخبة الليبرالية عبر دعوتهم للتجنيس والإدماج، قد ابتدعوا وانتزعوا جذورهم من المجتمع

الجزائري، وصاروا ينفون انتمائهم إلى مجتمعهم الأصلي، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بعد أن رأى بعضهم أن الدين عاملا في عرقلة فرنسة الجزائر، ومنهم من روج لفكرة انفصال الجزائر عن العالم العربي والإسلامي كإسماعيل حامد(74)، ومع أن محاولاتهم هذه كانت لتحقيق الإدماج والمساواة من خلال دعوة المجتمع إلى التجنيس وإبعاده عن حالة الحرمان التي آل إليها، إلا أنهم كانوا يصطدمون بعدم تفهم الوسط الأوروبي وحتى الجزائري(75).

والشاهد أن كتلة النخبة، قد قبلت من حيث المبدأ التجنس بالجنسية الفرنسية والدخول تحت القانون الفرنسي، وكانوا ينظرون إلى الدين الذي وقف حجر عثرة في طريق التجنيس على أنه قضية ضمير شخصي وليس قانونا ينظم حياة المسلم، ولكن رأي المجتمع الجزائري بخصوص قضية التجنيس قد منع جماعة النخبة من الدخول في المجتمع الفرنسي بدون شرط، وفي نفس الوقت كان المتجنسون الجزائريون الذين كانوا عادة من جماعة النخبة محل تفرقة من طرف الفرنسيين بالمقارنة إلى المتجنسين الآخرين بالإضافة إلى ذلك فإن المفتين الجزائريين قد اعتبروا باسم الدين، بأن التجنس يساوي التخلي عن الدين الإسلامي فالجزائريون الذين قبلوا التجنس كانوا يسمون بالمرتدين وكانوا يعاملون دون احترام(76) وهكذا يمكن القول أن قضية التجنيس بالنسبة لجماعة النخبة كانت قضية جد أساسية لا نقاش فيها ولو بالتخلي عن الأحوال الشخصية، وهو الأمر الذي أبان بكل وضوح عن موقفهم من القضايا الوطنية الأخرى، خاصة تلك المتعلقة بالعروبة والإسلام.

خاتمة:

منذ أن احتل الفرنسيون الجزائر كانت السياسة العدائية لمقومات الشعب الجزائري وثوابته تمشي بالموازاة مع مشاريع الهيمنة والسيطرة على الجزائر أرضا وشعبا، وشهد ذلك الكثير من التجاوزات في حق هذه المقومات خاصة الإسلام واللغة العربية، وبما أنه لكل فعل ردة فعل، فقد كان من الطبيعي أن تشهد هذه السياسة العدائية الكثير من التجاذبات وردود الفعل من قبل الجزائريين، وخاصة مطلع القرن العشرين أين بدأت تتبلور معالم النهضة والوعي التحرري، عبر الكثير من النخب المثقفة التي حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن مختلف قضايا الهوية الوطنية وعلى رأسها العروبة والإسلام، وكانت كتلة المحافظين من أبرز الجماعات التي رافعت لصالح الإسلام واللغة العربية وكل ما يتعلق بالشخصية العربية الإسلامية، خاصة وأن تكوينهم كان تكوينا عربيا إسلاميا، على عكس جماعة النخب الحداثية أو اليبيرالية التي رغم أنها طرحت الكثير من الأفكار في الدفاع عن القضايا الهوياتية، إلا أن آثار المدرسة الفرنسية كانت واضحة جدا في رسم توجهاتهم، وهو ما اتضح جليا في موقفهم من مسألة الإدماج والتجنيس، التي كانوا يرون فيها حقا لابد من تحقيقه على غرار كل المواطنين الفرنسيين الآخرين، مما أدى إلى ذلك الخلاف والعداء بينهم وبين جماعة المحافظين.

ولعل ما يمكن قوله أن مختلف تجاذبات النخب الجزائرية مع سلطات الاحتلال الفرنسي حول القضايا الهوية الوطنية كانت مبنية على أسس نضالية بدرجة أولى، ودفعت هذه الأخيرة إلى مراجعة سياستها العدائية في الكثير من الأحيان ولو بشكل سطحي، وفي ذات الوقت لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على مقومات وثوابت الشعب الجزائري إلى حد ما، وكان من الطبيعي أن تواجه سلطات الاحتلال هذه التطورات عبر العديد من الأساليب الزجرية، أهما التضييق والقمع وحتى الاعتقالات كما فعلت مع بعض أفراد تيار المحافظين لما حققوه

من نتائج ومساهمة كبيرة في الذود عن قضايا الهوية الوطنية، من خلال تشديد الرقابة على أعضائه ومختلف نشاطاتهم خاصة تلك المتعلقة بالدفاع عن الإسلام واللغة العربية، وختما يمكن القول أنه رغم النتائج الملموسة التي حققتها السياسة العدائية الفرنسية ضد مقومات وثوابت الشعب الجزائري طيلة القرن التاسع عشر ميلادي، إلا أن ظهور النخب الوطنية مع مطلع القرن العشرين، قد خلق نوعا من التوازن في الساحة وساهم إلى حد كبير في مواجهة مخططات الإدارة الاستعمارية المعادية وحفظ مقومات وثوابت الشعب الجزائري ولو نسبيا.

الهوامش:

[1]– روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، الجزائر: دار الرائد للكتاب ، 2007، ج:02، ص: 695.

[2]– نفس المرجع، ص: 695.

[3]– عبد القادر حلوش، عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، درا الأمة، 2010، ص: 251.

[4]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ، دار الغرب الإسلامي، 1998، ط01، ج: 09، ص: 12.

[5]– إبراهيم مهديد، المثقفون الجزائريون في عمالة وهران، خلال الحقبة الكولونيالية 1850–1912، دراسة تاريخية اجتماعية، وهران: منشورات دار الأديب، 2006، ص: 29.

[6]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، الجزائر: عالم المعرفة، 2009، ج: 02، ص: 145.

[7]– نفس المرجع، ص: 145.

[8]– فتيحة سيفو، الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وظروف ميلاد حركة "الشبان الجزائريين"، مجلة عصور الجديدة، 2016، ع23، ص: 170.

[9]– مخلوفي جمال، جمال ، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال 1900–1954، إشراف: شيخ بوشيخي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، قسم التاريخ، 2018–2019، ص: 223.

[10]–محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر 1919–1935، الجزائر: الشركة الوطنية للطباعة والنشر، 1982، ص: 24–26.

[11]–علي مراد، الحركة الإسلامية الإصلاحية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، 1999، ص: 37.

[12]–أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج: 02، ص: 146.

[13]–نفس المرجع، ص: 148.

[14]– كتاب في اللغة والنحو والبلاغة، طبع بمصر سنة 1877 وقدم له أحد المثقفين السوريين بقوله، قد اطلعت من هذا الكتاب على ألفاظ رقيقة ومعان رشيقة وآداب فائقة، وحكم رائقة تدل على أن مؤلفه من البراعة التامة والمعرفة العامة وتشهد له بخلوص النية وحسن الطوية اللذين ألجآه إلى نصح المسلمين وإرشاد المتعلمين،، ينظر: عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر الحديث، الجزائر،1993، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 72.

[15]–عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، الجزائر: دار الأمة، 2009، مج: 01، ج: 01، ص: 20، 21.

[16]– نفس المرجع، ص: 21.

[17] – سومية أولمان، دور الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، الجزائر: الديوان الوطني لحقوق المؤلف، 2013 ، ص: 40.

[18]– علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزائر: عالم المعرفة ،2003، ص:98.

[19]–عمار طالي، المرجع السابق،ص: 19

5–عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925–1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه: إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر،2004–2005، ج:01، ص: 64.

[21]–هو محمد بن المولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن المسعود بن عبد الوهاب، تتفق جل المصادر على أنه ولد في أوت 1866 وتوفي سنة 1939 عن عمر ناهز 73 سنة، كانت له العديد من الأنشطة في ميدان الفتوى والدعوى إلى التعليم والابتعاد عن التخلف الذي أصاب المسلمين، وكان معجبا بالتقدم والعلوم الحديثة والأفكار التي عرفتها أوروبا، خصص له ابن حبليس قسما في كتابه تحت عنوان خطب ومحاضرات ألقاها أبن موهوب، ينظر: حفيان رشيد، الحركة الإصلاحية في الجزائر بدايات القرن 20، المولود بن الموهوب أنموذجا، مجلة معارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع:01، ص: 366-317، ينظر أيضا: شريف بن حبليس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي وآخرون، دار المسك، 2012 ص: 177.

[22]–علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزائر: عالم المعرفة ،2003 ، ص: 139، 142.

[23]–حفيان رشيد، الحركة الإصلاحية في الجزائر بدايات القرن 20، المولود بن الموهوب أنموذجا، مجلة معارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع:01 ، ص: 382، 383.

[24]–أحمد صاري، أبن موهوب وقضايا عصره، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001، مج: 16، ع: 03، ص: 199.

[25]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 158.

[26]–ولد بندرومة ولاية تلمسان سنة 1886 وتوفي سنة 1965، وصفه الدكتور عبد القادر جغلول بأنه وجه سياسي وثقافي كبير خلال المرحلة التي سبقت تكوين الحركة الوطنية، بل وجه محير أيضا للمبتدئين بترتيب النظام الثنائي، قال فيه جول فيري وكومبس وليوتي أنه وجه معتبر ومستقل أيضا، وهو خصم لكل دمج، ورغم أنه تكون في مدرسة فرنسية، إلا أنه مدافع بليغ عن العرب والإسلام، وأضاف أن ابن رحال ليس ممثلا ولا من أحاب العمائم وهو يمثل محاولة حوار بين المجتمع الجزائري المستعمر والاستعمار والذي كان هدفه إحياء المجتمع الجزائري حتى لا يموت: ينظر: عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سيسيولوجية، تر: فيصل عباس، لبنان: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1882، ط:02، ص:63.

[27]–Yahyaoui Messaouda، Islam et identité nationale pendant l'entre deux guerres 1919 – 1939 en Algérie, El-Nahda et réactions coloniales, Rv: Almawaqif, Numéro spécial Avril 2008, p:53-54.

[28]– غانم بودن، سي أحمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائريين، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 2017، ع:07، ص: 12، 13.

[29]– هو الشيخ عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن ولد سنة 1866 وتوفي سنة 1933، من أوائل المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ محمد عبده الإصلاحي والداعي إليه، ومن أوسع علماء عصره علما وثقافة ينحدر من أسرة سماية الكرغلية والعريقة بمدينة الجزائر، ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1980 ، ص: 178.

[30]–عمار طالبي، المرجع السابق، ص: 29، 34.

[31]–عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص: 73.

[32]–علي دبوز، المرجع السابق، ص: 122-128.

[33]–عمار طالبي، المرجع السابق، ص: 34، 35.

[34]–أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج:02، ص: 148.

[35]– أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر: المطبعة العربية،2004، ص20.

[36]–غانم بودن، المرجع السابق، ص: 13.

[37]–ارتبط عمر راسم (1884-1959) في تاريخ النهضة الجزائرية، بمجالات عديدة فقد عرف بمحاولاته الرائدة في إنشاء الصحافة الوطنية الملتزمة، وتميز بأفكاره الإصلاحية الثورية، بما كان ينشره من مقالات نارية حادة واشتهر في عالم الفن بخطه العربي المغربي وبرسومه الزخرفية، ينظر: محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، سلسلة أعلام الثقافة والعلوم، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، دت، ص: 05.

[38]–إمخلاف أمال، عمر راسم، حياته ونشاطه، 1884-1959، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بن نعيمة عبد المجيد، جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار ، 2009-2010، ص86. نقلا عنها، ينظر أيضا: عمر راسم، نصيحة الأخ ودعوة الإصلاح، جريدة التقدم التونسية، عدد: 35، 30-04-1908.

[39]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج8، ص: 172.

[40]–عبد النور خيثر، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، 2010 ، ص241.

[41]–أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص161.

[42]-نفس المرجع، 162-168.

[43]-روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ، ج2، ص705.

[44]-كريمة بوبكر، دور النخبة المثقفة الجزائرية أثناء الاستعمار وبعده في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل ماجستير، إشراف: محفوظ سماتي، جامعة الجزائر: معهد علم الاجتماع، 2005-2006، ص32، 33.

[45]-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص172.

[46]-عطاء الله فشار، النخبة الجزائرية، جذورها تطورها اتجاهاتها، 1914-1954 أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: بن يوسف تلمساني، جامعة الجزائر: قسم التاريخ، 2008-2009، ص: 222، 223.

[47]-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص: 172.

[48]-بشير سحولي، مواقف النخب الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية، 1900، 1939، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: محمد مجاود، جامعة بلعباس، قسم التاريخ، 2014، 2015، ص: 169.

[49]-عبد الحفيظ شريف، مشروع إحياء اللغة العربية في الجزائر خلال القرن العشرين-مقاربة في المعالم والأبعاد، أطروحة دكتوراه، تخصص لغة وأدب عربي، إشراف: صالح بلعيد، جامعة البويرة، كلية الآداب واللغات،2018، 2019، ص243، ينظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ج2، ص126.

[50]-دويدة نفيسة، . قضايا الجزائر عبر جريدة الإقدام، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، 2016، ع: 40.، ص: 215، 216.

[51]-Bibliothèque nationale de France, micro fiches, LKS8- 1648, T. Morsly, contribution à la question indigène en Algérie Constantine imprimerie Jérôme marle F hipon , Constantine 1894, p :50 . (نقلا عن بشير سحولي)

[52]- دويدة نفيسة، المرجع السابق، ص: 197.

[53]-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص: 168، 169.

[54]-روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، ص: 706.

[55]-غي بريفيلي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية 1880-1962، تر: حاج مسعود، دار القصبة للنشر،2007 ، ص: 118،119.

[56]-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج: 02، ص: 165.

[57]-ولد سنة 1891 بقسنطينة، تولت عائلته العديد من الوظائف الإدارية وحظيت بعديد الامتيازات، نلقى تعليمه بالمدارس الفرنسية كما تعلم على يد عبد القادر المجاوي والمولود بن الموهوب، تولى عدة مناصب منها القضاء، تولي مسؤولية المجالس البلدية والعمالية، من مؤلفاته كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، ينظر: عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر، 2013 د.ط، ص588. ينظر أيضا: محمد السعيد قاصري، النخبة الجزائرية بين الفرنكوفونية بين التطرف والاعتدال "الشريف بن حبليس أنموذجا1891-1959، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة،2017، مج:02، ع:03، ص: 290.

[58]-نفيسة دويدة، الشريف بن حبليس آراءه واهتماماته الفكرية، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج72-73، أفريل-سبتمبر2016، ص:83.

[59]-عطاء الله فشار، المرجع السابق، ص: 240.

[60]-شريف بن حبليس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي وآخرون الجزائر: دار المسك، 2012، ص:55.

[61]-بشير سحولي، المرجع السابق، ص133.

[62]- نفسه، ص: 134.

[63]-عطاء الله فشار، المرجع السابق، ص239.

[64]-محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص: 296.

[65]-عزة عز الدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، قسم التاريخ، 20014-2005، 78. ينظر أيضا:

-Chérif Benhabiles, l'Algérie Française vu par un indigène, édition imprimerie orientale, Fontana frères Alger, 1914, p : 112-107

[66]-عزة عز الدين، نفس المرجع، ص: 78.

[67]-نفيسة دويدة، المرجع السابق، ص74.

[68]–محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص298.

[69]–نفيسة دويدة، المسألة الثقافية في الجزائر...، ص: 192، 193.

[70]–الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ط: 02، ج: 05، ص: 172.

[71]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830، ج: 07، ص: 188.

[72]–محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية(1919–1939)، تر: أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر 2011، ج:01، ص: 272،273.

[73]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج6، ص: 247، 250.

[74]–عطاء الله فشار، المرجع السابق، ص: 231.

[75]–محفوظ قداش، المرجع السابق ، ص: 273.

[76]–أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج: 02، ص: 167.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم مهديد، المثقفون الجزائريون في عمالة وهران، خلال الحقبة الكولونيالية 1850–1912، دراسة تاريخية اجتماعية، وهران: منشورات دار الأديب، 2006.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، الجزائر: عالم المعرفة، 2009، ج: 02،.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ط01 ج: 07.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ط01، ج: 09.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ط01ج7.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ط01ج6.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ط01ج8
- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر: المطبعة العربية، 2004.
- روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، الجزائر: دار الرائد للكتاب ، 2007، ج:02.
- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ط: 02، ج: 05.
- سومية أولمان، دور الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، الجزائر: الديوان الوطني لحقوق المؤلف، 2013
- شريف بن حبليس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي وآخرون الجزائر: دار المسك، 2012.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1980 .
- عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سيسيولوجية، تر: فيصل عباس، لبنان: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1882، ط:02،
- عبد القادر حلوش، عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، درا الأمة، 2010، ص: 251.
- عبد النور خيثر، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1954)، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، 2010 .
- عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر، 2013 د.ط.
- علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزائر: عالم المعرفة ،2003.
- علي مراد، الحركة الإسلامية الإصلاحية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، 1999.
- عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، الجزائر: دار الأمة، 2009، مج: 01، ج: 01.
- عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر الحديث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1993.
- غي بريفيلي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية 1880–1962، تر: حاج مسعود، دار القصبة للنشر،2007
- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية(1919–1939)، تر: أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر 2011، ج:01.
- محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر 1919–1935، الجزائر: الشركة الوطنية للطباعة والنشر، 1982.
- محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، سلسلة أعلام الثقافة والعلوم، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، دت.

- Bibliothèque nationale de France, micro fiches, LKS8- 1648, T. Morsly, contribution à la question indigène en Algérie Constantine imprimerie Jérôme marle F hipon , Constantine 1894.
- Chérif Benhabiles, l'Algérie Française vu par un indigène, édition imprimerie orientale, Fontana frères Alger, 1914.

المقالات:

- عمر راسم، نصيحة الأخ ودعوة الإصلاح، جريدة التقدم التونسية، عدد: 35، 30-04-1908.
- أحمد صاري، أبن موهوب وقضايا عصره، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001، مج: 16، ع: 03.
- حفيان رشيد، الحركة الإصلاحية في الجزائر بدايات القرن 20، المولود بن الموهوب أنموذجا، مجلة معارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع:01.
- دويدة نفيسة، . قضايا الجزائر عبر جريدة الإقدام، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، 2016، ع: 40.
- غانم بودن، سي أحمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائريين، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 2017، ع:07،
- فتيحة سيفو، الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وظروف ميلاد حركة "الشبان الجزائريين"، مجلة عصور الجديدة، 2016، ع23.
- محمد السعيد قاصري، النخبة الجزائرية بين الفرنكوفونية بين التطرف والاعتدال "الشريف بن حبليس أنموذجا1891-1959، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة،2017، مج:02، ع:03.
- نفيسة دويدة، الشريف بن حبليس آراءه واهتماماته الفكرية، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج72-73، أفريل-سبتمبر2016.
- Yahyaoui Messaouda، Islam et identité nationale pendant l'entre deux guerres 1919 – 1939 en Algérie, El-Nahda et réactions coloniales, Rv: Almawaqif, Numéro spécial Avril 2008

الرسائل والأطروحات:

- إمخلاف أمال، عمر راسم، حياته ونشاطه، 1884-1959، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بن نعيمة عبد المجيد، جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار ، 2009-2010.
- بشير سحولي، مواقف النخب الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية، 1900، 1939، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: محمد مجاود، جامعة بلعباس، قسم التاريخ، 2014، 2015.
- عبد الحفيظ شريف، مشروع إحياء اللغة العربية في الجزائر خلال القرن العشرين-مقاربة في المعالم والأبعاد، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص لغة وأدب عربي، إشراف: صالح بلعيد، جامعة البويرة، كلية الآداب واللغات،2018، 2019.
- عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه: إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر،2004-2005، ج:01.
- عزة عز الدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، قسم التاريخ، 20014-2005.
- عطاء الله فشار، النخبة الجزائرية، جذورها تطورها اتجاهاتها، 1914-1954 أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: بن يوسف تلمساني، جامعة الجزائر: قسم التاريخ، 2008-2009.
- مخلوفي جمال، جمال ، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال 1900-1954، إشراف: شيخ بوشيخي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، قسم التاريخ، 2018-2019

References

 Ibrahim Mahdid, Les intellectuels algériens de la préfecture d'Oran, à l'époque coloniale 1850-1912, une étude historique et sociale, Oran : éditions Dar Al-Adeeb, 2006.

 Abul-Qasim Saadallah, Le Mouvement National, Algérie : Le Monde du Savoir, 2009, C : 02,.

 Abul-Qasim Saadallah, L'histoire culturelle de l'Algérie, Beyrouth, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1998, ed. 01 A : 07.

 Abu Al-Qasim Saad Allah, L'histoire culturelle de l'Algérie, Beyrouth, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1998, Edition 01, C: 09.

 Abul-Qasim Saadallah, L'histoire culturelle de l'Algérie, Beyrouth, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1998, Edition 01, Partie 7.

 Abul-Qasim Saadallah, L'histoire culturelle de l'Algérie, Beyrouth, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1998, ed. 01C6.

 Abul-Qasim Saadallah, L'histoire culturelle de l'Algérie, Beyrouth, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1998, Edition 01, Partie 8

 Ahmed Sari, Personnalités et enjeux de l'histoire contemporaine de l'Algérie, Algérie : La presse arabe, 2004.

 Robert Agron, Les musulmans algériens et la France, Algérie : Livre Dar Al-Raed, 2007, C : 02.

 Al-Zubair Saif Al-Islam, Histoire de la presse en Algérie, Algérie : Fondation nationale du livre, 1984, vol. : 02, vol. : 05.

 Sumia Ullman, The Role of Sheikh Abd al-Qadir al-Majawi and his book Guiding the Learned in Intellectual Resilience in Algeria, Algérie : Cour nationale du droit d'auteur, 2013

 Sherif Ben Hablis, L'Algérie française vue par un résident, TR : Abdullah Hammadi et autres, Algérie : Dar Al-Misk, 2012.

 Adel Noueihed, Dictionnaire des drapeaux de l'Algérie du début de l'islam à l'époque actuelle, Beyrouth : Fondation culturelle Nouwayhed, 1980.

 Abdul Qadir Jaghloul, L'histoire moderne de l'Algérie, une étude sociologique, Référence : Faisal Abbas, Liban : Dar Al-Hadatha pour l'impression, l'édition et la distribution, 1882, vol. : 02,

 Abdul Qadir Halloush, Abdul Qadir, La politique éducative de la France en Algérie, Dar al-Ummah, 2010, p. : 251.

 Abdel Nour Khaither, Origines et fondements du mouvement national algérien (1830-1954), Algérie, Publications du Centre national d'études et de recherches sur le mouvement national, 2010.

 Othman Saadi, L'Algérie en histoire, Algérie : Dar Al-Ummah pour l'imprimerie et l'édition, 2013 Dr.

 Ali Dabouz, La Renaissance de l'Algérie moderne et sa Révolution bénie, Algérie : Le monde du savoir, 2003.

 Ali Murad, Le mouvement réformateur islamique en Algérie, Recherches en histoire religieuse et sociale de 1925 à 1940, Référence : Mohamed Yahyatne, Dar Al-Hikma, 1999.

 Ammar Tali, Ibn Badis, sa vie et son œuvre, Algérie : Dar al-Ummah, 2009, vol. : 01, vol. : 01.

 Omar bin Qina, La voix de l'Algérie dans la pensée moderne, Algérie, Office des publications universitaires, 1993.

 Guy Breville, L'élite francophone algérienne 1880-1962, tr. : Hajj Masoud, Maison d'édition Dar Al-Kasaba, 2007

 Mahfouz Kadash, Histoire du mouvement national algérien (1919-1939), tr. : Ahmed bin Al-Bar, Dar Al-Ummah, Algérie 2011, C : 01.

 Muhammad Qananesh, Le mouvement indépendantiste en Algérie 1935-1919, Algérie : La Société nationale d'imprimerie et d'édition, 1982.

 Muhammad Nasser, Omar Rasim, le réformateur révolutionnaire, la série des drapeaux de la culture et de la science, publications du ministère de la Culture et du Tourisme, dt.

 Bibliothèque nationale de France, microfiches, LKS8- 1648, T. Morsly, contribution à la question indigène en Algérie Constantine imprimerie Jérôme Marle F hipon, Constantine 1894.

 Cherif Benhabiles, l'Algérie française vue par un indigène, édition imprimerie orientale, Fontana frères Alger, 1914